ردمد : ٢٣١٢-٥٤٨٩
ردمد الالكتروني : ٢٤١٠-٣٢٩٢
الترقيم الدولي :٣٢٩٧

جمهورية العراق ديوان الوقف الشيعي

تراث كربلاء

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالتراث الكربلائي

تصدر عن:

العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والانسانية

مركز تراث كربلاء

السنة الثالثة/ المجلّد الثالث/ العدد الاول

جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ/ آذار ٢٠١٦م

رمزية التمدن
في خطاب الثورة الحسينية

The symbolism of Civilization in the speeches of the Husseini Revolution

أ.د. زمان عبيد وناس

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

Prof .D. Zaman Obaid Wannas

University of Karbala

College of Education for Haman Sciences

Dept. of History

zaman.obaid@yahoo.com

الملخص

منذ ان خلق الله سبحانه بني البشر على اديم هذه الارض اوجد معهم قانوناً شرعه تعالى، ينظم لهم قواعد التعامل الجماعي المعقد _ الصلة بين الفرد والمجتمع _ ولان الجماعة هي البنية الاساس لمعيشة الفرد، كان لابد إذن من شريعة تكون لازمة لقيام تلك الجماعة _ لان الانسان بطبيعته لا يمكن ان يحيا إلا باطار جماعي _ ولذا كان لا مناص للفرد من الالتزام بتلك الشرائع واحترامها، وتفرض بالقوة عند الضرورة، لان وجود الانسان مرهون بالقانون_ فتطوره وديمومته وتمدنه في اوساطه الاجتماعية عائد اليه، فالقانون أو الشريعة هو الذي ينظم صلات المجتمع بعضهم ببعض، وهو الدافع نحو تمدن النفس البشرية بعد ان تضبطها وتوجهها نحو التوازن والاستقرار في حركة نزوعها الفردية وتلبية حاجاتها الاجتماعية، ومن ذا فالتمدن ليس سلوكا غريزيا أو تلقائيا يدفع بالتطور للفرد، بل هو ناجم عن ضبط النفس والمجتمع بالشريعة التي يقوم على امر حكمها نزوح النفس نحو التمدن والرقي .

ومن هنا جاءت اهمية خطابات الامام الحسين عليه السلام الثورية في ملحمة الطف الخالدة ،فدائما يدفع الناس في خطابه نحو تمدن انفسهم وعمران اوطانهم، فهو عليه السلام دعا الى عملية ضبط اجتماعي لنزعة الانسان الفردية، وذلك بان يقرّ الجمع بشرع الله سبحانه، والتمسك بأحكامه، والانصياع الى اوامره ونواهيه، وإلا فمن خالف يُعد خارج عن نمطية الحياة العامة لمجتمعه، فنهج الفرد باطار الشريعة (القانون) هو سير نحو تمدن نفسه وعمران بلاده .

وهذه مكامن اهمية خطابات الامام الحسين عليه السلام الداعية الى التمسك بشرع الله سبحانه والانقياد الى قانونه التي اردنا بيانها في بحثنا هذا الذي عنوناه ((رمزية التمدن في خطاب الثورة الحسينية)) .

Abstract.

Since the time of genesis and the creation of man on the earth Allah the most High has provided the children of Adam with codes to regulate the social transactions – the relation between the individual and the community . Living in groups, the basic structure of the society members' livelihood, requires law in their life – this could be attributed to the human nature that requires social context to prevail . The necessity of binding the individuals in the rules entails force to oblige those who would outlaw .

It could be come up with that both of the law and the human are so strongly related together that there must be civilization, continuity and development in the two sides .

The constitution which handles the connections among the community members is a motive in the movement of civilization inside the human soul after being directed and exacted towards and emplacement in every side of life as in the individual and social needs . Thus, civilization is not merely an instinctive or a generous conduct but it is exacting the persons and the society altogether in accordance with the codes .

The speeches of Imam Hussein in the Taff Battle, however focused on the civilization either in the social behavior or in the material construction . Imam Hussein in this way called for social limitation of the human individual instincts through committing in the heavenly canons and rules and the entire obedience to the ordinance of Allah, the most High . Hence the persons who break the divine codes could be regarded as unable to be adapted with the social life for the approach of living within laws is a marsh towards civilization of self and building of country .

Finally, it could be said that this is the core of Imam Hussein's speeches which is the commitment to the rules of Allah, the most gracious which we have intended to search as " the symbolism of civilization in the speeches of the Husseini revolution " .

رمزية التمدن
في خطاب الثورة الحسينية

كلنا يعرف ان فرض سلطة القانون تجبر الفرد الى الانقياد بتشريعاته، فيصبح ملزما في الخضوع لمقتضى امره، وإلا عُد خارجا عنه يلزمه المجتمع أو الشرع حداً لعقوبته، لأنه بتصرفه المنافي يخرج عن نمطية الحياة العامة لمجتمعه التي رسمها القانون اصلاً،، فتكون خطواته وهو يطبق القانون نحو تمدن نفسه وعمران بلاده - لان عمران البلاد لا يتقرر الا بعمران النفس - سواء اكان ذلك رهبة، اي ان خوفه من عواقب المخالفة يدفعه الى الالتزام، أم رغبة، يرغب في تطبيقه لان نفسه اطمأنت به واعتادت على اتيانه على مر الزمان وتجذرت بموروثاته الانسانية والثقافية فصار اتباع نظمه من طباعه، علما أن الجماعة هي البنية الاساسية لمعيشة الفرد، فكان لابد من شريعة او قانون يكون لازماً لقيام تلك الجماعة، ومنظم لحياة الافراد فيما بينهم، فهو عملية ضبط اجتماعي لنزعة الانسان الفردية في تحقيق غاياته .

وعلى اية حال فان ذلك مؤداه بروز ظاهرة تمدن النفس البشرية ودخولها في مَرْحَلَةِ الرُّقِيِّ والحَضارَةِ والعُمْرانِ، وفرضية البحث الذي نحن بصدده هو قولنا ان قانون الاسلام اول ما يقصده من الحياة الدنيا هو بناء النفس - حصول التمدن في النفس البشرية وعمرانها - لان وجود الحياة اصلا كانت لأجله، فالأولى وهذا الامر ان تكون البداية منه هو، فبصلاحه تصلح امور الدنيا جميعها، لهذا كانت الرسالات السماوية .

وبما ان الحسين عليه السلام هو من سراج النبوة، صار حرياً به ان ينهج هذا النهج اذا ما رأى شططاً وانحرافاً عن هذا المفهوم في امة جده صلى الله عليه واله، أو حاولت جماعة الخروج عن سنن الله، وقانونه سبحانه الذي فرضه الاسلام، ولما ظهر في امة الاسلام من حاول العودة بها الى عصر جاهليتها، نهض هو عليه السلام ليعيد الامر الى نصاب سنن الله وبناء التمدن في نفوس الناس اولا ليمضي قدما بمشروعه الاصلاحي في بلاد الله سبحانه، لذلك فان مدلولات خطاباته الثورية التي ابداها من لحظة خروجه الى يوم شهادته عليه السلام في رمضاء كربلاء تدل على ذلك، فقانونه الاسلام، فالإسلام وتمدن النفس البشرية يرتبطان بصلة مباشرة، والتاريخ يُظهر ان دعوة النبي صلى الله عليه واله قد امتلكت قوة التأثير في التحكم بأنماط سلوك وحياة من آمن بها، بأسلوب يخدم الحياة القويمة بعد ان يقوده نحو الرشاد في تهذيب طبائعه فيترك آفاته الموروثة، وربما نجد من كلام جعفر بن ابي طالب عليه السلام لنجاشي الحبشة ما يظهر هذا المعنى، اذ قال : « ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الارحام، ونسيئ الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدق حديثه وامانته وعفافه، فدعانا الى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد من الحجارة والاوثان، وامرنا بصدق الحديث وأداء الامانة، وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، واكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام »[1]، وبذا كان لتشريعات الاسلام ضوابط نظمت

حياة الانسان وجعلتها أكثر انقيادا لسنن الله سبحانه، فربطتها بأوامر الحكم الشرعي الالهي التي باتت منذ ايام النبي صلى الله عليه واله تحكم الصلات الاجتماعية وصلة الفرد بالأخر ومن ثم كل هؤلاء بأمتهم ودولتهم، وكانت تلك النظم والثوابت نتيجة حقيقية لإفرازات حاجة النفس البشرية - والمتعلقة برضا ونهي الله سبحانه - لعلمه عز وجل بتلك الطبائع بوصفه الخالق لها ﴿ **أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ** ﴾[٢] وكذا قال سبحانه: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾[٣]، لذا كانت السبيل الوحيد لكبح جماح تلك النفس إلزامها بقوانين لا يمكن لها ان تحيد عنها، وإلا عُدت خارجة عن الشريعة أو جاحدة لها مأثومة، توجب عليها عقاب الله في الدنيا والاخرة، وهذا ما اسلفنا معناه سابقا، قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾[٤] و ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾[٥] وهذا وعد الاخرة ﴿ **وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ** ﴾[٦]، فمقياس وعد الثواب والعقاب يوم الدين مقدار تمسك الانسان بشرع الله سبحانه، ومن أجل ذلك كله وحتى تتقبل النفس الانصياع لقوانين التشريع فتتأطر بها وتحكم عملها وتصرفها في الدنيا على اساسها فتصل المدنية بها-لأنه لا يمكن للإنسان ان يصل الى المدنية من غير قانون كما اسلفنا سابقا - بُعث النبي صلى الله عليه واله لتبليغ تشريع ربه داعيا الناس بالموعظة الحسنة، امينا على القران عاملا في شرح بيانه، قال تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[٧] ليتم ما قدمناه من تبليغ الناس الشرائع التي ترتفع بروح الانسان وفكره الى مستوى عال

من المعرفة فتجلبهم للانقياد لها، فتكتسب طبائعهم قيمها الانسانية ومثلها العليا فيتمدنون بقانون الله سبحانه، بعدما يصلون الى معرفة الله حق معرفته، أي ان يقوي العقل والقانون - الشريعة - بعضهما بعضاً فيضيئا الطريق أمام الانسان ليعرف الله سبحانه فيصل الكمال بحدوده الدنيوية، علما ان هذا قد تجسد منذ ان وطأت أقدام آدم عليه السلام أديم الارض، إذ كان في هذه الاثناء محور النظام واساس السلطة في الارض دين التوحيد (عبادة الله سبحانه) - بل قل الاسلام - ومتمثلة بخلق الله سبحانه ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[٨] لذا صار من المنطق ان نقول : ان صقل طبائع النفس وتمدنها مرهون بدين الله عز وجل ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾[٩] .

والمراد من بحثنا يتخطى مدة الدعوة النبوية الشريفة في آنها، الى عصر نهوض الحسين بن علي عليهما السلام، إذ وعلى الرغم مما قدمناه من أثر الدعوة الاسلامية المحمدية في بث سبل الشريعة بين الناس حتى آمنت نفوس العباد بالإسلام، وراحت ترتقي الى صوب ادراك معنى الحياة في مفهومها السماوي، وإن اساس الحياة والتعايش بين الناس هو الاصلاح بالأفعال والاقوال، قال رسول الله صلى الله عليه واله : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١٠] لان غاية الدين خدمة النفس لتسمو بمعرفة الله سبحانه فيظهر اثر ذلك في انفعالاتها الانسانية وافعالها، ثم تتمدن لتخضع رغبةً لله عز وجل تمام الخضوع لما علمت ان كل شيء راجع اليه مقدر بمشيئته سبحانه ﴿ **وَمَا**

﴿ تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(١١)، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٢)، لكن أقول مرة أخرى : وعلى الرغم من ذلك كله شط الناس بعد رحيل النبي صلى الله عليه واله عنهم، وولوا وجوههم عن ولاة امرهم - من كنت مولاه فهذا علي مولاه - وتلقفتهم الاحداث حتى علا قرن الشيطان واستباحت الحرمات، وأُنكر للشرع بخلاف ناموس الله عز وجل، فتقهقرت نفوس الناس وعادت الامة ادراجها أو كادت ان تعود الى وحشية الجاهلية الاولى، فركن المتغلبون على سلطان المسلمين الى القوة والعصبية، فحكموا على اساس النظام الوراثي المعيب المولود من رحم الاثم، فلم يتفق والدين او ان يحقق مثل الاسلام العليا او ان يقيم دعائم الحكم الالهي، بل هو عقبة حقيقية في اقامة دولة مرضية عند الله سبحانه، ولا عجب فقد كان هذا النظام الاموي قائماً على ارتكاب الملذات والشهوات بدل مرضاة الله، فعطلت الحدود فاخذ القوي يأكل الضعيف، واهمل نشاطه السياسي - اي ذلك النظام-كل ما هو مقدس في الاسلام، فخربت النفوس، وبانت بوادر الظلمة بأقبح افعالها ايام كان العرب يجهلون الدين، قال الامام الحسين عليه السلام « أنه قد نزل من الامر ما قد ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واستمرت جدا فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، الا ترون الحق لا يعمل به وان الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا »(١٣) و « ان الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون »(١٤)، فلم يبق للدين باقية إلا دين بني الطاغية - امية-لذلك ما كان من الحسين

عليه السلام وكل هذا يجري إلا القيام واعلان ثورة الاصلاح في امة الاسلام فيعيد للشريعة مكانتها في نفوس الناس، فيأتمون بها ويحكّموا أوامرها ونواهيها فيما بينهم، فترتفع انفسهم وتتمدن وتزهد في ارتكاب المعاصي، وترغب في جهاد الباطل والوقوف بوجه الطغيان ودعاة الفساد، لذا عندما تصدى يزيد للأمر وتحكم برقاب المسلمين، دعا الحسين عليه السلام الناس في منى بعد ان عزم على الثورة، فاجتمع له نحو سبعمائة رجل عامتهم من التابعين، ومائتي رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله فقام فيهم خطيبا، يشحذ فيهم الهمم لقول كلمة سواء ونصرة الدين، فعنه عليه السلام انه قال : « موت في عز خير من حياة في ذل »[١٥] فاراد ان يعيد فيهم روح الاسلام والسير على نهج رسول الله صلى الله عليه واله في اتباع شرع الله وناموسه وحكم الناس بمقتضاه، قال عليه السلام « انا ادعوكم الى كتاب الله وسنن نبيه، فان السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت، فإن سمعتم قولي أهدكم سبل الرشاد »، فغايته عليه السلام قبل كل شيء اصلاح نفوسهم، إذ بها تتمدن طبائعهم وبلدانهم، وكذلك هو يبث فيهم روح النفير المتجدد لصون بيضة الاسلام كلما تعرضت لهجمة الفاسقين، فقال عليه السلام : « اما بعد فان هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم »[١٦] وهو يريد يزيد بن معاوية، ثم قال : « فأني اتخوف ان يدرس هذا الامر ويذهب الحق ويغلب ﴿ **وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[١٧] »[١٨] وبالغ عليه السلام في النصح لهم وكلمهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وخطب فيهم خطبة ابيه امير المؤمنين عليه السلام فقال : « اعتبروا ايها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الاحبار اذ يقول : ﴿ **لَوْلَا**

يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ ﴾[19] وقال : ﴿ **لعن الذين كفروا من بني اسرائيل ﴾**[20] الى قوله : ﴿ **لبئس ما كانوا يفعلون ﴾**[21] استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، واخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها »[22] وانما عاب الله ذلك عليهم لانهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين اظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون والله يقول : ﴿ **فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾**[23] وقال : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾**[24] فبدأ الله سبحانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بانها اذا اديت واقيمت استقامت الدنيا وبذا فانه عليه السلام وضع في نصب اعينهم مآل الامور إذا ما اتبعوا سنة الله واقاموا المعروف ونهوا عن المنكر فان الدنيا تستقيم لهم بهينها وصعبها، ويقع كل شيء في موضعه وفي قسمة فيئهم وغنائهم وصدقاتهم ووضعها جميعها في حقها، فهذه الصورة من خطاب الحسين عليه السلام على مراتب العمران والمدنية قد تصلها الامة إذا ما اتبعت ذلك، ثم انه لم يكتف بذلك بل حمل ارباب العلم منهم ارشاد الناس طريق الصلاح وعمران النفس - تمدنها - فقال عليه السلام: « ثم انتم العصابة، عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة، وبالله في انفس الناس مهابة، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا بد لكم عنده، تشفعون في الحوائج اذ امتنعت من طلابها، وتمشون في الطريق بهيئة الملوك وكرامة الاكابر، اليس

كل ذلك انما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله »[٢٥] ثم يؤنبهم اذا ما راغوا عن النصح وركنوا الى الصمت مع جور المتسلط على الرقاب طمعا في جائزة أو رهبة عقاب، فانهم سيكونون ابعد ما يكون من اتباع الحق، فيضيعون حق العباد والاوطان، فتعود الدنيا ادراجها والحياة سيرتها الاولى فيعم الخراب النفوس، أو انهم على الاقل ان يتخذوا بإزاء آل امية موقفا معارضا، وان يمتنعوا عن اي مظهر من مظاهر الاعتراف بنظامهم وسيادة سلطانهم، وذلك لان خير الدولة وصلاح الامة كان من الحق ان يوضع فوق كل اعتبار، لذا قال عليه السلام مسترسلا في خطابهم : « وان كنتم عن اكثر حقه تقصرون، فاستخففتم بحق الائمة، فأما حق الضعفاء فضيعتم، واما حقكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالا بذلتموه، ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله وانتم تتمنون على الله جنته، ومجاورة رسله وامنا من عذاب »[٢٦] .

الم يرسم الامام الحسين عليه السلام في كلمات خطبته هذه صورة تمدن الانسان الحقيقية، سواء أكانت في الطبائع ام الفكر أم عمران البلاد، بمعنى آخر انها مثلت شكلا جوهريا لمفهوم التمدن البشري .

بل حتى انه ذهب الى أكثر من ذلك حينما احتاج تمدن الامة - اصلاحها - الى الفداء والتضحية، لان الامم قد تحتاج في بعض مراحل التاريخ الى فادٍ وملهم، بصفته عظيما من عظمائها، ليبني لها مجدها أو حتى يحفظ مجدها ويعيد لها مبادءها، فكان هو عليه السلام الفادي لها والمدافع عن مبادئها، فركز في فكر البشرية استمرارية بيان اثر دين الاسلام في تمدن البشرية بوصفه قانونا سماويا

عادلا، وفي مجمل اشكالها، السياسية - دور الامام في الامة وصلته بأفرادها - والاقتصادية -حق الامة وسياسة دنياهم بمقتضى مصالحهم واحوال معاشهم مجاميع وافراد والعدل بينهم في مكاسبهم- والاجتماعية - الحفاظ على قيمهم وصيانة عاداتهم وكرامتهم وبناء نسيج اجتماعي متماسك، فكانت النفس البشرية هي اسمى ما يمكن للإمام ان يحفظها، لذا قال الامام الحسين عليه السلام : « اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان، ولا التماسا من فضول الحطام، ولكن لنري المعالم في دينك ونظهر الاصلاح في بلادك، ويأمن المظلمون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك واحكامك »[٢٧] وكذا قال : « واني لم اخرج اشرا ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي صلى الله عليه واله اريد ان أمر بالمعروف وانهي عن المنكر »[٢٨] ثم لم يزل يذكّر علية القوم بان رفعة النفس - تمدنها - لا يعني ادراك بعض معارف العلم، وانما من اماط اللثام بها عن وجه الباطل وعرفه للناس فيجتنبوا اتيانه، ودلهم عهود الله سبحانه واتباعها، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيادة الامة لصلاحها فترتقي احوالها فتتمدن، لأنه كما قال عليه السلام : « بان مجاري الامور والاحكام على ايدي العلماء بالله الامناء على حلاله وحرامه »[٢٩]، وليس ان يتمنوا على الله الجنة لقاء ما عرفوه من امور شرعه سبحانه، لان الدين النصيحة، فقال عليه السلام مخاطبا اياهم : « لقد خشيت عليكم ايها المتمنون على الله، ان تحل بكم نقمة من نقماته، لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فُضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون، وانتم بالله في عباده تكرمون، وقد ترون عهود الله منقوصة، فلا تفزعون، وانتم لبعض

ذمم آبائكم تفزعون، وذمة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم محقورة ... ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيما تعينون، ولا بالأدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك امركم الله به، من النهي والتناهي، وانتم عنه غافلون، وانتم اعظم الناس مصيبة لما غلبتهم عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون »[٣٠] لأنه عليه السلام كان يعلم اذا ما صلحت نفوس هؤلاء وركنت الى تقوى الله في عباده وخلقه، وتصدت لجور الظالمين، استطاعت ان توظف طاقات الناس في مصلحة دينهم ودنياهم فيشيدون العمران - عمران النفس وتمدنها، ثم تدفع في ربط مدينتهم بشرائع الاسلام، فتوثقها فتتجلى ثنائية الدين والتمدن بصورة لا يشوبها غبار، وهذا ما اقره عليه السلام في وجوب تمدن مسار العودة الى اصل الدين، واول ما بدأ مخاطبا اهل العلم ليقيم الحجة عليهم في تركهم قتال الفاسقين-ولو بالكلم - لان في صلاح اختيارهم صلاح الامة، فقال لهم : « ولو صبرتم على الاذى، وتحملتم المؤونة في ذات الله، كانت امور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر واليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظَلَمة من منزلتكم واسلمتم امور الله في ايديهم، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات، سلطهم في ذلك فراركم من الموت واعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في ايديهم، فمن بين مستعبد مقهور، وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقبلون في الملك بآرائهم، ويستشعرون الخزي بأهوائهم اقتداء بالأشرار، وجرأ على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة، وايديهم فيها مبسوطة والناس لهم خول، لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد، وذي سطوة

على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد، فيا عجبا ؛ ومالي لا اعجب والارض من غاشم غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم فالله الحاكم فيه تنازعتم، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا »[٣١] .

فبين ﷺ لهؤلاء أهوال قوادم ايامهم ان امعن هذا في طغيانه، وسلط على رقاب الناس اشرارهـم، فيزيد « فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق »[٣٢] دنس الدين واشاع الفجور والاحقاد ونقم من العباد، قال تعالى : « وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد » [٣٣] وجعل البلاد خورا فكانت ارثا للظلمة من اشياعه فافسدوها وادبروا المعروف وتنكروا للدين، قال الامام الحسين ﷺ : « قد نزل بنا ما ترون من الامر وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها »[٣٤] .

ومع ان الحسين قام بوجه هؤلاء واجنادهم الا انه لم ينس واجبه الانساني والديني اتجاههم في اصلاح نفوسهم، وبذل الجهد لعل الله يهديهم وهم اعدائُه، على الرغم من تزاحم الاحداث وتثاقلها عليه يوم عاشوراء-« انا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم »[٣٥]- فباشر في النصح لهم في وقتها من صبيحة يوم عاشوراء وخاطب فيهم النفس البشرية، فيلقي عليها الحجة، فقال : « ايها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى اعظكم بما يحق لكم علي [بصفته اماماً معصوماً] وحتى اعذر اليكم، فان اعطيتموني النصف كنتم بذلك اسعد، ولم تعطوني النصف من انفسكم فاجمعوا رأيكم، ثم لا يكن امركم عليكم غمة، ثم اقضوا اليَّ ولا تنظرون، إن وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين »[٣٦] ثم ذكرهم بأمر

الله وسننه، وانما عليتهم وعزتهم بالتزام حدوده، فلا محيص لهم من اتباع الحق ان ارادوا الخلاص، فكل شيء الى الزوال الا كلمة حق هم قائلوها تضع حياة الخلق من بعدهم على المسار القويم - التمدن البشري - فيحصل في محياهم ومعاشهم تطمأن نفوسهم لأخراهم، قال عليه السلام : « الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالا بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن اليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد اسخطتم الله فيه عليكم، واعرض بوجهه الكريم عنكم، واحل بكم نقمته، وجنبكم رحمته فنعم الرب ربنا وبئس العبيد انتم »[٣٧]، وفي لفظ العبيد أعطى علية السلام انهم عبيد السلطان والدينار « اقررتم بالطاعة وأمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه واله، ثم انكم زحفتم الى ذريته وعترته، تريدون قتلتهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبا لكم ولما تريدون، انا لله وانا اليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد ايمانهم فبعدا للقوم الظالمين »[٣٨]-«**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**»[٣٩] - فانه عليه السلام عندما قال : « هؤلاء قوم كفروا بعد ايمانهم »[٤٠] دل على انه لا وقع للإيمان في قلوبهم، وإلا فلما تركوه لأي سبب كان، ومن لا يكون للإيمان وقع في قلبه فالمعقول انه لا يؤمن بالله ايمانا معتبرا، فبلغوا حد الاستهزاء والسخرية بشرائع الاسلام، ثم انهم ازدادوا كفرا لذنوب اصابوها بقتالهم عترة النبي صلى الله عليه واله، ومما في ذلك اعلى درجات الكفر والخروج عن طور المدنية، لانهم بذلك يقتلون الامة اجمعها فيصلون بالكفر الى اقوى مراتبه، لذلك احتاج

الامام الحسين الى بقاء رمزية التمدن في نفوس الناس، مخاطبهم بذلك كله وهذا ما قدمناه، وهو ان يحفظوا دستور الله، ثم لجأ الى الفداء، فداء دين جده، ليخلق بذلك رمزا - « حسين مني وأنا من حسين » - يبقى شاخصه دال على الدين ورمزية التمدن فيه حتى وان حاولت قوى الشر على مر الازمان طمس معالمها، لكن نقاء الفداء لله سبحانه يأبى إلا ان يبقيه علامة فارقة شاخصة في هامة الدهر مع تقادم الازمان، فعنفوان زخم ملحمة الطف ستستمر مادامت هناك نفوس تتوق الى الحرية والتمدن، وللقارئ ان يستشف ذلك العنفوان الذي تحدثنا عنه توا من كلامه عليه السلام حينما قال : « لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد »[٤١] و « ولا ارى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما »[٤٢] .

فكيف للمرء ان يبني تمدن عقله وعيشه وعمرانه وهو مكبل اصلا بقيد العبودية للظالمين، أو ان يجعل نفسه اسيرة الطاغوت، إذ لا يمكن للتمدن ان يكون كاملا بتمدن سبل العيش وعمران البلاد إلا بتمدن النفس وهي ان تنقاد للقانون، والقانون في الاسلام شرع الله عز وجل، وهذه الحقيقة، حقيقة ان الحسين قد ثار يوم عزم على المضي في طريق الشهادة من جل بناء النفس، جعلت من ملحمته خالدة في نفوس البشرية جمعاء من اقصى الارض الى اقصاها، تلهج قلوبهم قبل السنتهم المختلفة بوميض رمزية فدائه الدائم من اجل خلاص بني البشر من العبودية بمختلف اشكالها، لذلك ايضا فثورته دائمة في النفوس التي تتوق الى التحرر، وكلماته الخالدات، مازالت تعلو موقظة للأنام، ان هبوا بوجه الطاغوت، فلا عجب ايضا ان يستمر الطواغيت شارعي الحراب بوجه فكرة تمدن النفس البشرية ما دام الحسين عليه السلام هو عميدها الشهيد .

الهوامش:

١ـ الطبري، محمد بن جرير الشيعي (ت ق ٤هـ)، دلائل الامامة، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية (قم : ١٤١٣هـ) ص ١٢ .

٢ ـ العنكبوت، أية ١٠ .

٣ ـ الشمس،أية ٧-١٠ .

٤ ـ الزلزلة، أية ٧-٨ .

٥ ـ البقرة، اية ١٩٧ .

٦ ـ الحج، اية ٤٧ .

٧ ـ الانبياء، اية ١٠٧ .

٨. البقرة، اية ٣٠ .

٩ ـ ال عمران، اية ١٩ .

١٠ ـ الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، كتاب الكافي، تحقيق علي اكبر غفاري، مطبعة حيدري (طهران : ١٣٦٥هـ ش) ج٢، ص٢٣٤ .

١١ ـ التكوير، الاية ٢٩ .

١٢ ـ يوسف، اية ٢١ .

١٣ ـ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت : د/ ت) ج٤، ص٣٠٥ .

١٤ ـ ابن شعبة الحراني (ت ق ٤هـ)، تحف العقول عن ال الرسول، تحقيق علي اكبر الغفاري (قم : ١٤٠٤هـ) ٢٤٥ .

١٥ ـ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام، دار المعروف للطباعة والنشر (قم : ١٩٩٥م) ص ٦٠٢ .

١٦ ـ م . ن، ص٣٣٠ .

١٧ ـ الصف، اية ٨ .

١٨ ـ لجنة الحديث، موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام، ص ٣٣١ .

١٩ ـ المائدة، اية ٦٣ .

٢٠ ـ المائدة، اية ٧٨ .

٢١ ـ المائدة، اية ٧٩ .

٢٢ ـ لجنة الحديث، موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام، ص ٣٣٥-٣٣٦.

٢٣ ـ المائة، اية ٣ .

٢٤ ـ التوبة، اية ٧١ .

٢٥ ـ القرشي، الشيخ باقر شريف، حياة الامام الحسين ﷺ، مطبعة آداب النجف (النجف : ١٩٧٤م) ج١، ص١٥٣ .

٢٦ ـ القرشي، حياة الامام الحسين ﷺ، ج١، ص ١٥٣ .

٢٧ ـ ابن شعبة الحراني، تحف العقول ص ٢٣٩ .

٢٨ ـ القرشي، حياة الامام الحسين ﷺ، ج٢، ص٢٦٤ .

٢٩ ـ م . ن، ج١، ص ١٥٣ .

٣٠ ـ القيومي، الشيخ جواد، صحيفة الحسين ع، مؤسسة النشر الاسلامي (قم :١٣٧٤هـ ش) ص ٢٦٢ .

٣١ ـ م . ن، ص ٢٦٤ .

٣٢ ـ ابن اعثم الكوفي، احمد بن اعثم (ت٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الاضواء للطباعة والنشر (بيروت: ١٤١١هـ) ج٥، ص١٤ .

٣٣ ـ البروج، اية ٨ .

٣٤ ـ ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت : ١٤١٥هـ) ج١٤، ص٢١٧ .

٣٥ ـ القرشي، حياة الامام الحسين ﷺ، ج٢، ص ٢٥٥ .

٣٦ ـ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، الارشاد، تحقيق مؤسسة ال البيت، دار المفيد للطباعة والنشر (بيروت : ١٩٩٣م) ج٢، ص٩٧ .

٣٧ ـ القيومي، صحيفة الامام الحسين ع، ص ٣٠٤-٣٠٦ .

٣٨ ـ م . ن، ص ٣٠٦ .

٣٩ ـ النساء، اية ٣٧-٣٨ .

٤٠ ـ القيومي، صحيفة الامام الحسين ﷺ، ص ٣٠٦ .

٤١ ـ م . ن، ص ٢٩٠ .

٤٢ ـ الطبراني، سليمان بن احمد (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار احياء التراث العربي (بيروت:١٩٨٤م) ج٣، ص ١١٥ .

المصادر والمراجع :

١ـ القران الكريم .

٢ ـ ابن شعبة الحراني (ت ق ٤هـ)، تحفة العقول عن ال الرسول، تحقيق علي اكبر الغفاري (قم : ١٤٠٤هـ) .

٣ ـ الطبراني، سليمان بن احمد (ت٣٦٠هـ) ،المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار احياء التراث العربي (بيروت:١٩٨٤م) .

٤ـ الطبري، محمد بن جرير الشيعي (ت ق ٤هـ)، دلائل الامامة، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية (قم : ١٤١٣هـ)

٥ ـ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت : د/ ت) .

٦ ـ ابن اعثم الكوفي، احمد بن اعثم (ت٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الاضواء للطباعة والنشر (بيروت: ١٤١١هـ) .

٧ ـ ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت : ١٤١٥هـ).

٨ ـ القرشي، الشيخ باقر شريف، حياة الامام الحسين (ع)، مطبعة آداب النجف (النجف : ١٩٧٤م) .

٩ ـ القيومي، الشيخ جواد، صحيفة الحسين ع، مؤسسة النشر الاسلامي (قم :١٣٧٤هـ ش) .

١٠ ـ الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ) ، كتاب الكافي، تحقيق علي اكبر غفاري، مطبعة حيدري (طهران : ١٣٦٥هـ ش) .

١١ ـ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام، دار المعروف للطباعة والنشر (قم : ١٩٩٥م) .

١٢ ـ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، الارشاد، تحقيق مؤسسة ال البيت، دار المفيد للطباعة والنشر (بيروت : ١٩٩٣م) .